التعاون

الحركة التعاونية المنزلية

فى مصر

للدكتور ابراهيم رشاد بك مدير التعاون

ثلاثون عاما مضت منذ قامت الحركة التعاونية فى مصر على يد رجل القانون والاصلاح عمر لطفى يناصره أبو الفلاح الأمير حسين كامل ، وفى خلال هـذه الحقبة من الزمن ، صادفت الحركة نجاحا و إخفاقا ، تقـدما وتأخرا ، اقبـالا و إعراضا ، ولا شأن لنـا الآن فى التعرض لسبب هذا أو ذاك .

على أننا نقول إن الحركة التعـاونية المصرية مرت فى تلك المدة بأدوار ثلاثة : الدور الأول هو الدور الشعبي الذى استمر من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩٢٣ . والدور الثانى هو دور الحكومة من سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٢٧ . والدور الثالث هو الدور الحكومى الشعبى الذى بدأ من سـنة ١٩٣٧ وما زلنـا فيه حتى الآن . وسأقصر كلامى فى هـذا المقـال على الدور الأخير الذى هو فى الواقع أكثر الأدوار الثلاثة بركة . ففيه تضافرت جهود الأمة والحكومة فى إقامة صرح حركة تعاونية عامة ، احتلت مكانها بين الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية التى يعم نفعها الجميع .

وإنى لواضع تحت أنظـار القراء عهودا ارتبط بها الشعب والحكومة فأصبحا مسئولين معا مسئولية قومية عن الوصول بهذه الحركة إلى جادة النجاح !

أولا — انشاء مجلس التعاون الأعلى وقد مثل فى عضويته مجلسا الشيوخ والنواب ورجال الاقتصاد والزراعة والمـال والتعاون ، يستشيره الوزير المختص فى وضع السياسة العليا للحركة.

ثانيا — جعل الادارة الحكوميـة المشرفة على الحركة التعاونيـة فى نظامها وروحها وكأنها " اتحـاد تعـاونى " وثيق الصلة بالجمعيات وأعضائها ، يتبادل معهم الرأى فى كل ما يعود عليهم بالخير والمنفعة .

ثالثا — اشتراك الحكومة والشعب فى تمويل الحركة بشكل يزداد كل عام اقترابا من الأوضاع التعاونية الصحيحة بحيث لا يمضى وقت " طويل " حتى يكون للحركة بنكها التعاونى المركزى .

إن هذا التضامن بين الحكومة والشعب فى مصر الحديثة العهد بالانظمة الديموقراطية الاقتصادية كالحركة التعاونية ، لهو أقوى كفيل بنجاحها ، فإن الشعب وحده فى حالته الحاضرة لا يقدر أن يستأثر بقيادة تلك الحركة . والحكومة كذلك بأوضاعها البيروقراطية لا يمكنها أن تنفرد بتسيير التعاون الذى هو شعبى أصلا والشعبية منه بمثابة الروح من الجسد .

نشطت الحركة على هذا الوضع . ونجحنا فى إيجاد ٨٠٠ جمعية تعاونية فى مختلف أنحاء البلاد بلغ عدد أعضائها نحو ١٠٠,٠٠٠ عضو ورأس مالها المسهم المدفوع ٢٢٠,٠٠٠ جنيه ومالها الاحتياطى ٦٠,٠٠٠ جنيه وقيمة معاملاتها السنوية مليون جنيه .

غير أن العنصر الزراعى من هذه الحركة هو الغالب لدرجة أصبح معها التعاون وكأنه يسير على ساق واحدة بدلا من ساقين ، فوجب والحالة هذه أن نقومه بحيث يوازن جانبه الاستهلاكى جانبه الانتاجى ، وكلاهما من الأهمية بمكان . ولو أن السواد الأعظم من الأهالى يشتغل بالزراعة ، إلا أن الجميع مستهلكون ، وهؤلاء وأولئك محتاجون الى خدمات التعاون الجليلة .

يتضرر الناس — وخصوصا ذوو الدخل المحدود — من غلاء المعيشة ، ويتلمس كثير من التجار أسبابا لجنى الأرباح الفادحة . ولولا يقظة الحكومة لأصبح الشعب تحت رحمتهم . ونحن لا ننسى ما قامت به الحكومة فى الحرب العظمى ، ثم فى هذه الحرب من عمل حاسم للضرب على أيدى الطامعين من التجار . غير أن تهالكهم على طلب الربح يدفعهم الى التلاعب ويغريهم بالتحايل على الإفلات من طائلة القانون ، مما يصعب معه أو يستحيل ضبط الأمور الضبط كله . ولو كان فى البلاد الكفاية من الجمعيات التعاونية المنزلية التى بلغت درجة محمودة من الانتشار والقوة ، لانتظمت الحالة من تلقاء نفسها ، لأن مهمة الجمعيات التعاونية هى أن تبقى الأسعار عامة فى المستوى العادل ولا تتعداه ، فيضطر الجميع بحكم أصول التجارة إلى التزام ذلك المستوى قدر إمكان . ولست أقول هذا استنادا الى نظريات اقتصادية أو خبرة أجنبية فحسب ، بل اعتمادا على خبرة البلاد نفسها فى خلال الحرب العظمى حين كانت الجمعيات التعاونية المنزلية ، على قلة عددها ، أكبر عون لمصلحة التموين على أداء مهمتها ، ويؤيدنى كذلك الواقع الملموس بين ظهرانينا ، فعندنا خمسون جمعية تعاونية منزلية قيمة معاملاتها نحو ١٠٠,٠٠٠ جنيه فى السنة وهى سائرة بنجاح مطرد . والأمل

معقود على تدعيمها ، والإكثار من أمثالها حتى يأتى يوم لا نعود نخشى فيه تسلط التجار على توريد حاجاتنا المعيشية ، وقد أجدت جمعياتنا المنزلية القائمة — على تواضعها — نفعا كبيرا فى مكافحة الغلاء فى مناطق عملها ، وصارت تورد لأعضائها وللأهالى صنوف البقالة والخضر والفواكه واللحوم والوقود والمنسوجات والخردوات . وقد ساهمت هذه الجمعيات كذلك بنصيب فى الناحية الاجتماعية ، فأقام بعضها أندية وملاعب للرياضة . وأقامت جمعية الاسماعيلية مثلا دارا للسينما تعد أضخم دورها فى تلك المدينة. فضلا عن مساهمتها جميعا فى مواساة المعوزين من أعضائها وأسراتهم .

إن ما نطلبه من جمعية التعاون المنزلى لا يعدو أن تكون بضائعها من النوع الذى ينطبق عليه المثل العامى القائل " رخيص وكويس وابن ناس " أى معتدل السعر ، جيد النوع ، خال من النقص ، وهذا بعينه هو الذى ينطبق على بضاعة التاجر الشريف البعيد النظر ، الذى يغار على سمعته ويحافظ على بقاء تجارته . ومثل هذا التاجر لا يخاف من نزول جمعية التعاون الى الميدان إلا بمقدار ما يخشاه من نزول تاجر مثله . ففى ميدان التجارة متسع للجميع . وفى المدن التجارية الكبرى مثل ما نشستر وغيرها من المدن الأوربية نجد العدد الوفير من المحال التجارية ، الى جانب الجمعيات التعاونية المنزلية ، وإنما يخشى التعاون ويخاف من مزاحمته ذلك التاجر الذى يعمد الى الغش ، والذى يستغل الجمهور ، والذى يتحين الفرص للاستزادة من ربح غير مشروع .

ولقد ذكرت فيما سلف طرفا من أعمال جمعياتنا المنزلية القائمة . أما جمعية القاهرة فان البضائع التى ستقدمها ، ستشمل كل ما تحتاج اليه المنازل من مأكل وملابس وأدوات وأثاث . وستتخذ لنفسها محلا كبيرا فى وسط العاصمة وتفتح لها فروعا فى مختلف الأحياء حسب الحاجة اليها ، والمأمول أن يكون ذلك المحل المركزى ، وتلك المحال الفرعية بالغة الغاية من حسن النظام ، وحمال التنسيق ، وتيسير التوزيع ، بحيث تتضارع أرقى المحال التجارية فى العاصمة . وهنا استثنى من البضائع المنزلية التى توردها الجمعية الخمور بأنواعها ، فان المتفق عليه بين التعاونيين أن تحجم الجمعيات عن اقتناء الخمور وتوريدها ، لما فيها من ضرر بالصحة والأخلاق ، ولأن توزيع " عائد " عليها فيه تشجيع خفى على الإكثار من تناولها .

وهناك مبدآن أساسيان من مبادئ التعاون المنزلى سوف تتبعهما جمعية القاهرة ولن تحيد عنهما بحال : وهما البيع نقدا والبيع بسعر السوق . أما الأول فلأن البيع بالأجل يفتح للأعضاء باب الإستدانة ، ويغريهم بشراء مايزيد على حاجتهم الحقيقية ، وفى ذلك إرباك لحالتهم المالية ثم إرباك لمالية الجمعية فى النهاية . وأما البيع بسعر السوق ، فالحكمة فيه أن الجمعية

لاترمى إلى مزاحمة التجار ولا تريد أن تدخل معهم فى مسابقة لخفض الأسعار إلى مادون الحدّ المشروع ، على أن توزع فى ختام السنة " عائدا " على الأعضاء من صافى الربح بنسبة تعاملهم معها فتكون لهم بمثابة صندوق ادخار .

* * *

إذا جاز لنا — جدلا — أن نغفل دور المرأة فى حركة عامة ، فلا يجوز ذلك فى حركة التعاون المنزلى بوجه خاص ، لأنها هى مدبرة البيت وصاحبة "الكار"، فاذا لم تكسبها الجمعية التعاونية المنزلية فقد ضاع عليها " زبون صقع " لايعوّض بحال ، والذى يهمنا من عضويتها فى الجمعية قبل كل شىء أن تقصر معاملتها عليها حتى تستورد منها جميع حاجاتها المنزلية ، وتكون خير مرشد لها إلى البضائع المطلوبة . ولما كانت المرأة المصرية تقتحم الآن ميادين فى الحياة العامة والحياة الخاصة ، فاذا صارت لها يد فى توجيه الجمعية التعاونية وأثر فى تقدّمها ، فانها تكون قد أفادت أسرتها وعاونت زوجها بالاقتصاد فى نفقات المعيشة ، كما تنفع المجموع فى الوقت نفسه باشتراكها فى حركة عامة ذات أثر بالغ فى حياة الشعب بأجمعه .

ابراهيم رشاد

الصدق والكذب

إن الصدق عمود الدين ، وركن الأدب ، وأصل المروءة ، فلا تتم هذه الثلاثة إلا به . وقال أرسطوطاليس : أحسن الكلام ما صدق فيه قائله ، وانتفع به سامعه . وإن الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب .

الأبشيهى